بنشر قواتهم على ذلك الخط الطويل بل أوفدوا قوة ستر مؤلفة من فوج أهلى وفصيلة مدفعية الى جنوبى « مكلة » فى مرحلتين الى (امبا ـ الاغى)

وفى نهاية السنة هاجم الأحباش هذا الموقع فدافعت القوة دفاعا مستميتاً ، ولم يتلق آمرها أمر الانسحاب إلا متأخراً بعد أن قضى الأحباش على قوته وغنموا مدفعيته ، بينما كان الموقف يتطلب أن يبلغ هـذا الآمر واجبه الأصلى وهو الدفاع الرجعى دون دخول قتال فاصل

وكانت القوة الحبشية مؤلفـة من ٣٠٫٠٠٠ رجل يقودها الرأس « ماكونين » والد الرأس « تفرى »

وكان الجنرال « اريمونذى » بكوكبه (بقسمه الأكبر) فى مكلة ، ولما تيقن أن الأحباش سوف يهاجمونه وأنه لا يستطيع الدفاع أمامهم قرر الانسحاب ، فانسحب بسرعة الى « اداجاموس » ثم الى « ادجرات » وترك فى مكلة فوجاً أهلياً مع مدفع جبلى فقط

أما النجاشى منليك فكان مهتما بجمع الجيش ليملى إرادته على الطليان ويهيىء سبيل الخـلاص لبلاده . وبعد أن جمع المـال المطلوب من مقاطعة التالا ، وأنجد جيشه بخيالة التالا ، وصل إلى اديس أبابا وأعلن إلى الجميع أن الحبشة لا تحتاج إلى أحد بل عديدها إلى الله ، فتولى قيادة جيشه بنفسه وجمع جميع الرؤوس فى « روميدا » وصرح لهم ولجميع المشايخ والأشراف برغبته فى طرد الطليان من البلاد وانقاذها من مخالب الاستعمار . فوافقه الرؤوس على ذلك بالاجماع ، وكان المشهد مما يثير الحماسة فى الصدور ، وكانت قوة الجيش الحبشى مع قوة جيش « ماكونين » تبلغ ١٦٠٫٠٠٠ رجل . فحاصر ماكونين قلعة مكلة وأخذ يدكها بنار مدافعه ، وقطع عليها طرق الماء . فاضطرها إلى التسليم فى ٢٥ ديسمبر ١٨٩٦ ووافق النجاشى على عودة الأسرى الطليان الى بلادهم لينشروا الرعب فى قلوب الطليان الآخرين

ولما انتشرت أخبار انتصار الأحباش فى المستعمرة ساد القلق والرعب فى قلوب الناس ، وفكر الطليان فى الدفاع عن ميناء مصوع أيضاً . وقررت القيادة حشد جميع القوات فى ادجرات لصد تقدم الأحباش ما عدا الحاميتين اللتين فى كرن وكسلا ، وكانت قوة الحامية منها مؤلفة من فوج وسرية خيالة وفصيل مدفعية

(يتبع) طه الهاشمى

مؤتمر القلوب

للأستاذ السيد محمد زيادة

سألت نفسى بعد تأمل وتفكير : « ماذا يكون لو أمكن كلَّ إنسان أن ينكمش حتى يختفى فى قلبه ، وأمكن قلبه أن يتسع حتى يحويه ؛ فيظهر للناس عارياً لا يكسوه إلا الشفاف ، ويصبح الشخصُ المنطوى على قلب قلباً منطوياً على شخص ، وتمشى القلوب وتتنقل ، وتدب حيث تحب ؟ أتنكشف السرائر ، وتسفر الخفايا ، وتباح الأسرار ؛ ويستطيع كل قلب أن يعرف ما له عند الآخر بغير حاجة الى رسول بينهما قد يصدق وقد يكذب ، ويتبين المرء ما يكنُّه له حبيبه أو صديقه خاليا من الزيف والرياء ؟ »

وكان سؤالا غريبا جديدا ، فحيرنى الجواب عليه ؛ ثم رأيتنى فى الرؤيا أجرب هذا ... فانقبضتْ أطراف الى بدنى ، وانحصر بدنى فى قلبى ، فأصبحت قلبا ومضيت لشؤونى فى الحياة ؛ ووجدتنى مقبلا عليها بتلهف وشوق كما يقبل على الحرية سجين أطلقوه . فهو يندفع اليها بقوة ، ويتقلب على رحبها بشغف ، كأنه يريد أن يجتنى فيها فيملأها . وهى تتلقاه هاشة باشة ، وتتفتح له حيث اتجه ، وكأنها تريد أن تمتزج بها فيصير منها

ثم وجدتنى هنا وهناك طلقاً موزعا متحيرا لا أستقر ، ولا أعرف كيف أستقر ، ولا أفهم معنى الاستقرار . وزعمت أننى لم أوجد فى الحياة الا لأتحسس الجمال وأتلمس الحب ، وخيَّل إلى وهمى أن الجمال فى كل لحظة يناديني ، وأن الحب فى كل بقعة ينتظرنى ؛ فجننتُ بالجمال والحب ، وحلقتُ فى سمائهما بأجنحة الخيال حتى كدت أتحطم أو تحطمتُ . . بين شقاء يجرنى اليه الهجر ، وشقاء يجرنى اليه الوصال

ورأيت العيون من حولى تلهمنى بنظرات هى التعجب والاستغراب ، وكأنها تتخاطب قائلة : « ما لهذا القلب لا يهدأ ؟ » حتى كادت تشعرنى بأننى وحدى أسفق للجمال وأخفق بالحب . ولكنى لم أحفل بالنظرات ولم أهب العيون ، وسرت فى طريقى كما أنا قلباً مهوماً شديد الخفقان

ثم رأيتُنى مدعوًّا إلى مؤتمر دعيتْ اليه القلوب جميعا ؛

ففرحتُ بهذه الدعوة ونشطت إلى الائتمار . وتوافدنا نحن القلوب يسابق بعضنا بعضا ، ويحمل كل منا فى أعماقه ما يحمل

* * *

فهذا قلب صاف لا رنق فيه ولا غبار عليه ؛ وهذا قلب درنٌ غلب على بعضه الدرنُ وغلب على بعضه النقاء ؛ وهذا قلب أسخمُ لم يبق فيه أثر لطبيعته ؛ وهذا قلب كبير ؛ وهذا قلب صغير

ووقفتُ أرنو إلى ذلك الحشد الحافل وأستمتع بما فيه من مشاهدَ غريبة كانت محجوبة عني أو كنتُ محجوباً عنها ؛ وأخذ كلُّ قلب يتطلع إلى القلوب حوله ، ويستمتع استمتاعى وكأنه يحس ما أحسه من دَهَش يصحبه فرح ، ومن رَهَب تصحبه لذة

ورأيتُ على بعد غير سحيق من مكانى قلبا تقلص أديمُه ، وشاه مظهرُه ؛ فدلّنا على باطن غاسق كالليل ؛ والقلوب كلها نافرة منه صادفة عنه ، كأنه قتاد يشوك من يقربُه ، أو مخلوق وحشى يلتهم من يلمسه . وهو فى مكانه يوزع عليها نظرات متمضة ساخطة ملأى بالتمرد والتوعد . فسألتُ : « ما لهذا القلب لا يجد منا صاحبا ولا نجد فيه أهلاً للصحبة ؟ » فقالوا : هذا قلب رجل لا يعيش إلا ليبثّ الفساد بين قلوب عارفيه ، ولا يستريح حتى يشى بين صديقين متفقين ، أو يمكر ما بين حبيبين ناعمين ، أو يسيء إلى أحدٍ ما . فتراه يبتسم لهذا ، ويداعب ذاك ، ويوسوس إلى ذلك ؛ حاسباً أن فى ابتسامته ودعابته وريائه ستاراً لحقده وخبثه وخسته ؛ ولكن هيهات . . فكلنا يعرف ما فى جوفه ، وكلنا يحتقره وينبذه ويلعنه ، وكلنا يود الآن لو يسحقه فيريح الوجود من وجوده

ورأيت فى ناحية أخرى قلبا شفّ لونه ، وأشاءت سحنته ، فدلّتنا على دخيلة بيضاء كالشمس ، والقلوب كلها – إلا ذلك القلب الداكن وأمثاله – متهافتة عليه ، متوددة اليه ، تصافحه وتحييه ؛ فيصافحها ويلاقيها بتحيات زكيات ملأى بالبر والقناعة – فسألت : « ما لهذا القلب لا يجدمنا قاليا ولا نجد منه داعيا للقلى ؟ » فقالوا : « هذا قلب رجل تقى كريم يعرف الله ويخشاه ، نصب نفسه لهداية الناس ، وقضى أيامه يجاهد الرذيلة ليحيي الفضيلة ، ويكره الشر ، ويحب الخير . فطالما سعى ليوفق بين صديقين مختلفين ، أو يصلح ما بين حبيبين ناعسين ، أو يحسن إلى أحدٍ ما ؛ فتراه يرشد هذا ، ويعلم ذاك ، وينتزع الغواية من ذلك ، صادقا فى كل ما قال وكل ما فعل ، مصلحاً أينما حل . فكلنا يعرف فضله ويقدره ويحترمه ويود لو يرفعه فيجعله فى السماء

ولفتَ بصرى قلبٌ غلا دمه ، وتصاعد البخار من فتحاته ، وكاد ينـدلع اللهب من جنباته ؛ حتى خلتُه تنوراً تنصهر فيه جدرانُه جزءاً جزءاً ، ويشتد أزيزه كلما استعر جوفه . يروح ويغدو بين القلوب هائجا كالمشرّد ، حائراً كالضال ، لا تفتر قواه ولا ينقطع خفوقه . فتساءلنا عما به فوجدناه قلب محب فارقه حبيبه فبرّح به الشوق ، وأضناه الألم ؛ فهو ظمآن لهفان يبحث عنه بيننا علّه يلقاه فينقع اللقاء غلته ، ويبرد لهفته . فقلت : آه ! ! ما أعظم سلطان الحب . . آمنت بأن فى الحياة قلوباً تحار حيرتى وتكابد ما أكابد

وكان بين القلوب قلبٌ خالٍ كالبيضة إذا أفرخت ، سافر كالمرأة إذا تهتكتْ ، باهت كالشمس إذا تنقبتْ بالسحاب . فكان أشبه شيء بالاسفنجة ؛ وأعجبني منظره الفاتر الخالى من كل قرائن الحياة ، لأنه شاذ بفتوره وخلوه منها ، وأخذتُ أراقبه مليا لأقف على سره لو كان لمثل هذا القلب سر ؛ فوجدته إمعة يظل ساكنا كالنائم فلا يتحرك حتى يحركه غيره ، ولا يتوجه حتى يوجهه غيره ، ولا يعمل إلا ما يملي عليه غيره

يدنو منه قلب من تلك القلوب السوداء هامساً موسوسا فلا يلبث حتى يسودّ ويتشكل بشكله ، ثم يدنو منه قلب من تلك القلوب البيضاء الناصعة محدثاً مبشراً ، فلا يلبث حتى يبيضّ ويتشكل بشكله ، وهكذا هو فى كل أحواله مقود لا إرادة له ولا صفة

فسألتُ عنه فقيل لى : هذا قلب شاب ساذج أبله مغرور بنفسه ، مخدوع بغروره ، لم ينكبه الدهر ، ولم تكرثه العوادى ؛ فعاش كما تراه سليما من الشر ومن الخير ، بعيداً عن الحزن وعن الفرح ، وحسب أنه عاش كذلك برغبته وقدرته ، وأنه استطاع أن يهزأ بالأحداث لأنه فوق متناولها ؛ ولم يعرف أن الله خلقه ضعيفاً فأنكره الدهر ، وهزأت بوجوده الأحداث

ووقع بصرى على قلب تراه واقفاً فلا تحسبه واقفاً لدأبه على القلق والتوثب ، ولا تفهم من خفقانه المتواصل معنى خفقان القلوب . وإنما تفهم معنى الجبروت والصولة والعربدة ! ! ينظر

إلينا شزرا ويتطلع إلى محيطنا باستخفاف ؛ ثم يصرف عنا بصره ويتطلع إلى أبعد من محيطنا باستخفاف ؛ كأنه لا يشعر بنا وكأنه يعتبر الكون أضيق من أن يسع قوته وعظمته ، فلا يروح ولا يغدو إلا في تيه وخيلاء ، ولا يقف إلا وقفة المتمرد المتحفز ، وهو مع هذا أبكم ، أصم ، أعمى ، كافر ، لا يؤمن بالرحمة ، قاس لا يعرف الآلام ؛ فهو أشبه شيء بكرة من الحديد

قلت : قلب من هذا القلب القوي المتكبر ؟ قالوا : قلب رجل شجاع جبار لا يهاب الصعاب ، ولا يرضى الاستكانة ، ولا يعرف التسامح ، مفطور على الكبر والعظمة واستصغار الكبائر ؛ واستضعاف الأقوياء ، واستعباد الضعفاء . فهو يعتقد أنه مخلوق للغلبة والانتصار

***

ونظرتُ على يميني فرأيت قلبا استحق مني أن أطيل النظر إليه لما هو فيه من هم وكآبة ، ووقفت فترة طويلة من الوقت شاخصاً إليه ، متأملاً مشفقاً وأنا أحس أنه بائس وأن بيني وبينه صلة من البؤس مهما يكن بؤسه ثم ملت إليه وسألته : ماذا بك أيها القلب الحزين الباكي ، ومالي أراك ساكنا ساكنا ... تبدو في سكونك كاليائس القشعر من يأسه ، وكأن بك تستكثر على نفسك أن تعيش لأنك برم بالعيش ! ! إنك منا ولكنك غريب عنا ؛ لا تخالطنا كما نتخالط ولا تحادثنا كما نتحادث ؛ فما رأيتك منذ رأيتك إلا زافراً تكبت الزفرات ، أو مستعبراً تخبأ العبرات ، وأحسبك نكبتَ في حب فمشت في ذكرياته ، وأن تلك الذكريات التي وصلتْ ما بينك وبين الماضي قطعت ما بينك وبين الحاضر : فماذا بك ، وقلب من أنت ؟

فانتفض ، ثم صعدت من فوهته زفرة ملتهبة ، ثم صمت قليلا ، ثم رنا إليّ طويلا ، ثم قال : دعني لمأساتي فالحب لا يحرق إلا من ألقى فيه

قلت : ولكني أريد أن أعرف مأساتك ؛ فعسى أن أعينك أو أواسيك أو أتوجع لك

فصعدت من فوهته زفرة أخرى وقال : أواه ... هذا شعور جديد في الحياة أو جديد في حياتي أنا فقط ، وهذه كلمات لم أسمع مثلها منذ حين . فيالك من قلب طيب !

إن مأساتي هي أنني بحياتي مأساة في الحياة ! ! لقد كنت محبا واليوم قد مات الحب ، بل أنا محب ؛ كنت هانئا ، واليوم قدمات الهناء ... بالأمس كنت قلب فتاة عذراء مؤمنة ، واليوم أنا قلب امرأة متخالعة متاجنة ... امرأة مومس أقدمت على الدعارة مكرهة ، ثم مستسلمة ، ثم راضية ، ... امرأة ساقطة تبيع عرضها في سوق الفجور (الرسمي) كل يوم لكل من يدفع الثمن ...

مسكينة هذه البائسة المجروحة التي تحملني بين حناياها بائساً مجروحا ! ! إنها تحاول كثيراً أن تسكتني وتخفيني ، ولو استطاعت لقطعت ما بيني وبينها من شؤون وصلات ، لتخلو لشؤون وصلات ذلك العالم الداعر الكافر الذي تعيش فيه بين ذبّاحي الانسانية وهدّامي البشرية ، وأنا في صدرها أتتاع وأتألم وأبكي وليست لي دموع إلا الدماء أستوردها من بدنها فيهزل قوامها ، وهزال قوامها يذبل شبابها ، وذبول شبابها يضيع جمالها ، وجمالها هو حياتها الفانية التي لا خير فيها

الرجال يحدثونها دائماً عن مواضع الفتنة ومواطئ اللذات فيها ؛ فلا تسمع رجلا واحدا يحدثها عن مواطن الحسرة ومدافن الذكريات في أعماق نفسها ، ويسألونها كل يوم عن شهوة بعد شهوة ، ولا يسألونها : أي حزن دخيل ثقيل تحملين ، وكيف تتعذبين ! ! إنها تضاحكهم وتداعبهم ترويجا لخلاعتها بينما تباكيني وتناجيني تفريجاً لكآبتي ، وهي في ذلك مضطرة إلى التظاهر بأنها امرأة بلا قلب ولا ضمير ، وإلا اتهموها بأنها تحمل قلباً حياً وضميراً مستيقظاً ، وعدوها بذلك خائنة لحرفتها غير حافظة لنعمتها

لقد حبستْني وحرّمتْ على أن يسمعني أو يشعر بي أحد ، وما جئت إلى هنا إلا خلسة منها . فهي الآن في أحط أوقاتها بين أحط الرجال

ولكني لا ألومها فأنا الجاني الأول عليها ، ... لقد قادني الحب فقدتها أنا إلى معمعة العواطف ، ثم قادتها العواطف المطلقة إلى مغانم الشهوات ، ثم قادتها الشهوات الغريرة إلى مساقط الفساد ، ثم إلى الهاوية التي لا مقيل لها منها إلا الموت

وبكى وبكيت له ورحت أواسيه بالقول لأن مأساته أكبر من أن أعالجها بالعمل

(البقية في العدد القادم)

السيد محمد زيادة